٢٤

سوسو الفأرة الموسيقية



ها-

سوسو : الفأرة الموسيقية .

« سوسو » فأرةُ حقلٍ صغيرةٌ ، تعيشُ في مرجٍ من العشبِ الأخضرِ ، في وكرٍ عميقٍ حفرتْه بنفسها . وكانت « سوسو » سعيدةً بحياتها في أحضانِ الطبيعة . وكانَتْ مُرهفةَ الحساسيةِ تلتقطُ أذنُها أدقَ الأصوات . وكانتْ تحبُ الليل كما تحبُ النهارَ فلكلٍ منهُما أصواتهُ المقربةُ إلى نفسِها .

عند الأصيل، والشمس في طرِيقها إلى المغيب كانتِ « سوسو » تستلقي على الأرضِ المعشوشبة ، تستمعُ إلى الطبيعةِ وهي تودعُ النهارَ : زقزقةُ العصافيرِ التي تأوي إلى أعشاشها ، وحفيفُ أوراق الأشجار ، والحشراتُ الصغيرة التي أمضتِ اليوم كلَّه تبحثُ عن رزقِها في شقوقِ التربة .

وخريرُ مياهِ الساقية . كلُ ذلك كان يملأُ قلبهَا غبطةً وسعادة وتلك هي الأصواتُ التي تعودتْ سماعَها في النهارِ ، أما في الليلِ ،



فكانت «سوسو» تجلسُ أمامَ عتبةِ بيتِها الصغيرِ ، ترقُبُ النجوم وتستمعُ إلى أصواتِ الليلِ : النسيمُ العليلِ الذي يداعبُ أوراقَ الأغصانِ ، وأصواتُ الجنادبِ ونقيقُ الصفادعِ ،

كانت «سوسو» تشعرُ بأن الطبيعةَ تغني ، وكانت -لِشدةِ سعادتِها- تغني معها ألحاناً عذبةً ناعمة . ولم تدُمْ سعادةُ «سوسو» طويلاً ، فذات يوم أقبلَ من المدينة رجالٌ بلباسِ العملِ الأزرقِ وأخذوا يعملون بهمةٍ ونشاط : حفروا الطريقَ الترابيَّ وفتحوا شارعاً عريضاً عبّدوه بالأسفلت . وبعد أيام



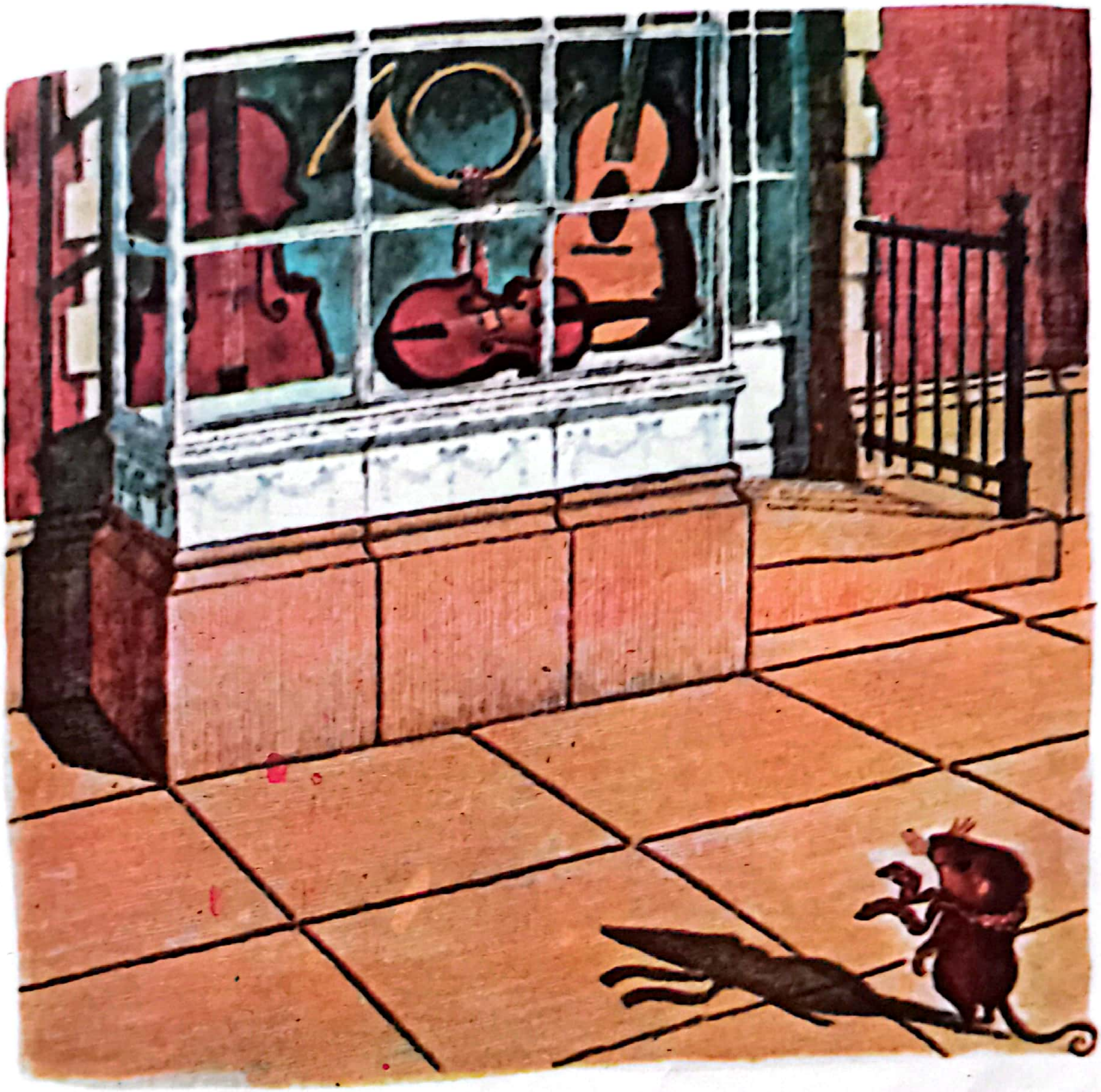
قليلةٍ بدأتِ السياراتُ تقطعُ الطريقَ جيئةً وذهاباً : سياراتٌ صغيرةٌ وشاحناتٌ ضخمةٌ ودراجاتٌ ناريةٌ ، كلُها تسير بسرعةٍ جنونيةٍ وتطلقُ أصواتَ نفيرِها المزعجِ .

ولم تَعُدْ «سوسو» تسمعُ - في قلبِ هذا الضجيج - أغنياتِ العصافيرِ الحلوةَ . ولم ينقضِ وقتٌ طويل حتى جاءَ رجالٌ آخرون ، حصدوا سنابلَ القمحِ الذي زُرِعَ في الحقلِ المجاور وجعلوها أكواماً حملوها بعيداً . ولم يكتفوا بذلك بل ردموا مجرى الساقية ، وبدأوا يحفرونَ في اعماقِ الأرض ثم أخذوا يبنونَ البيوتَ وارتفعت بناياتٌ ضخمةٌ ذاتُ طوابقَ متعددة وازدادتِ الحركةُ عندما فتحتِ المخازنُ أبوابَها وكثُرَ ارتيادُ الناسِ لها . وخافتِ العصافيرُ من أن تقعَ في أيدي الصغار الذين كانوا يلاحقونها من مكانٍ لآخرَ ، وبعضُهُم يحاولُ تخريبَ أعشاشِها ، فرحلتْ إلى مناطقَ أكثرَ أمناً وودعتْ «سوسو» وفي قلبِها غصةٌ ، وداعاً لا لقاءَ بعدَه .

أما «سوسو» فكانتْ تعيشُ في قلقٍ وحيرةٍ . فقد أخذتْ تحنُّ

إلى الهدوء الذي صارتْ تفتقدهُ ليلاً ونهاراً . وكانَ أكثرُ ما يؤلمها أنها لم تعدْ تسمعُ صوتَ حفيفِ الأغصان ، ولا صوتَ خرير المياهِ في الساقية . كلُ الأصواتِ العذبةِ الناعمةِ ، التي كانت أجملَ ما في حياتها ، ضاعتْ في زحمةِ الأصواتِ القويةِ العنيفةِ المنبعثةِ من نداءِ الباعة المتجولينَ وضجيجِ السيارات

ومضتْ أيامٌ أخرى ولمحت « سوسو » من بعيدٍ الرجالَ الذين أصبحتْ تخشاهم وتعرفُ أن مجيئهم سوفَ يتسببُ لها بكارثةٍ جديدة . وكانَ خوفُها في محله ، فقد قلبَ هؤلاء الرجالُ بالبلدوزر أرضَ المرجِ المغطاةَ بالعشبِ الأخضر ، وهدموا بيتَ « سوسو » ، ثم حملوا أكوامَ الترابِ في شاحناتٍ ليلقوا بها في ضاحيةٍ من ضواحي المدينة وكانتْ « سوسو » في واحدةٍ من هذه الشاحناتِ حملتْها في ما حملتْ من عشبٍ وتراب . رفعتْ « سوسو » رأسها ونفضتْ عنها الغبارَ الذي علقَ بجسمها ، وتطلعتْ إلى ما حولَها فلمحتْ من بعيد البناياتِ الشاهقة ، والدخانَ الكثيفَ يتصاعدُ



من مداخنِ المصانع ، فأدركتْ أنها قريبةٌ من المدينةِ التي حدثتها عنها أمُها ذات يوم ، وقالتْ في نفسها : لم أعد فأرةً ريفية ، وداعاً أيتها الأيامُ السعيدة فقد أصبحتُ فأرةَ مدينةَ ، لم أعدْ حرةً أتجولُ في المروجِ والحقول ، وعليَّ أن أبحثَ عن مسكنٍ جديد .



وأخذت «سوسو» تتنقلُ في أرجاءِ المدينةِ الضخمةِ ، التي يسبقْ لها أن رأتها قبلَ اليوم ، كلُ ما حولَها يثيرُ في نفسِها الدهشةَ والاستغرابَ : ألوفُ وألوفُ البيوتِ • عشراتُ الطوابق ، ومئات المخازن ، والشوارعُ العريضةُ التي تعجُ بالسياراتِ ، والأرصفةُ التي يسيرُ عليها المارةُ هذا الازدحامُ أقلقها

وأثارَ في نفسِها الحنينَ إلى موطنِها الأول الهادِىء .

وتنقلتْ « سوسو » بين البيوتِ لعلَّها تجدُ في واحدٍ منها مأوىً لها ، ولكنهالم تجدِ الراحةَ في أي بيتٍ ، بعضُ البيوتِ كان يضجُ بالأصواتِ العنيفةِ التي لم تعتدْ عليها أذُنها المرهفةُ المحِبةُ للموسيقى الناعمة ، وبعضُها الأخرُ كان هادئاً كأنَّ لا حياةَ فيه ، وهي تحبُ الحركةَ والحياةَ .

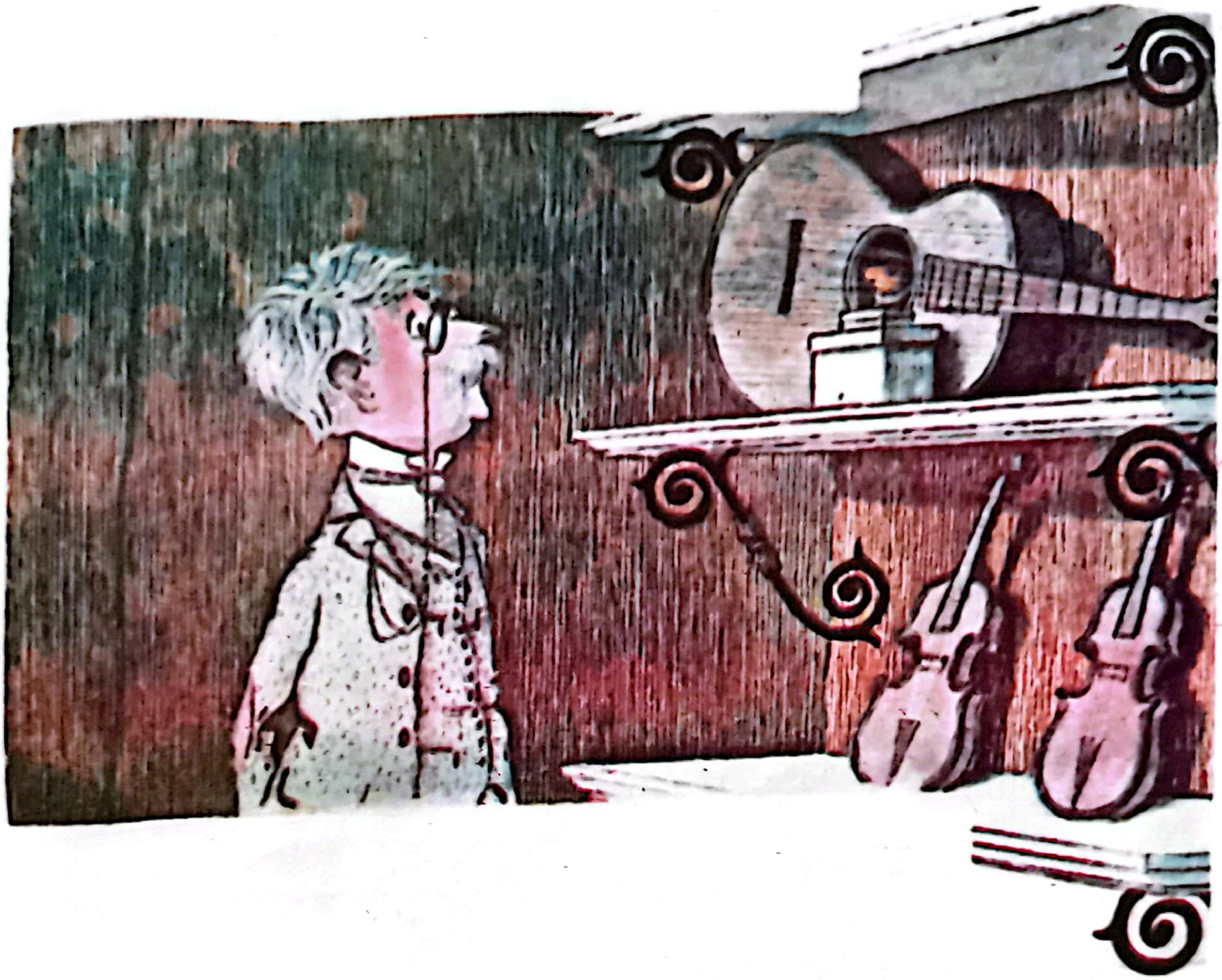
ولم تيأسْ « سوسو » ، وتابعت طريقَها بحثاً عن بيتٍ لسكناها ذاتَ يوم ، كانت « سوسو » تجتازُ أحدَ الشوارع وإذا بها تسمعُ فجأةً صوتَ موسيقا ناعمةٍ تنبعثُ من متجرٍ للأدواتِ الموسيقية . هذا المكانُ وحدَه يناسبُ فأرةً تهوى الموسيقا ودخلتْ « سوسو » المتجرَ وبدأتْ تتجولُ فيه . وتنظرُ بعينٍ فاحصةٍ إلى الأدواتِ الموسيقيةِ المتعددةِ الحجومِ والأشكالِ .

لقد وجدتْ « سوسو » أخيراً بيتَها الذي تبحثُ عنه . إنه بيتٌ صغيرٌ جميلٌ ، بابُه مستديرٌ يحميه سورٌ جميل . ودخلتْ « سوسو » البيتَ واستقرت هناك وفاضَ قلبُها بالفرح وأخذت

تغني لحناً ناعماً ، كثيراً ما كانت ترددُهعندما كانتْ تعيشُ في المرجِ الأخضر ترقبُ النجومَ ، وتصغي إلى الأصواتِ الليليةِ الرائعة . أحبتْ «سوسو» بيتَها الجديدَ حبّاً جماً ، وأحبتْ بصورةٍ خاصةٍ الموسيقى التي كانت تنبعثُ من البيانو والكمانِ والطبلِ والبوق . وذلكَ عندما كانَ الناسُ يجربونَ هذه الآلاتِ قبلَ شرائها ، وصاحبُ المتجرِ يعددُ لهم مزايا كلِ آلةٍ وجَوْدةِ صنعِها . ما أجملَ الحياةَ في هذا المكانِ ، لكأنه خُلقَ من أجلها هي ، الفأرة الموسيقية .

ولكن «سوسو» لم تكن تطيقُ البقاءَ في البيتِ بصورةٍ دائمةٍ لأنها تعودتِ الحركَةَ والنشاطَ فكانتْ - كلما أقبلَ الليلُ - تخرجُ من بيتها ثمَ تعودُ إليه . وخلالَ دخولِها وخروجها كانت تلامسُ أسلاكَ السورِ الذي يحمي البيتَ فَتنبعثُ منه أنغامٌ عذبةٌ رائعةٌ : دن . دن . دن .

وكان المارةُ في ذلكَ الوقتِ من الليل ، يقتربونَ من واجهةِ المخزنِ ويستمعون بشغفٍ إلى هذهِ الألحانِ العذبةِ . وفي الصباحِ



كانوا يسألون صاحبَ المتجَرِ : من يعزفُ الموسيقى في متجرِك ليلاً ؟ ... وكانَ صاحبُ المتجرِ يستغرِبُ ما ينقلُه إليه الناسُ ، فقد كان يغلقُ بنفسهِ بابَ المتجرِ مساءً ولا يفتحُه إلا في الصباح ، ولم يشعرْ يوماً بأن غريباً قد دخلَ المتجر أثناءَ غيابهِ ولكن أشخاصاً متعددينَ ذكروا أنهم يسمعونَ صوتَ الموسيقى ليلاً ، وبينهمْ من بمعارِفه من لا يشكُ لحظة في صدقِ أقوالهم . ذات يومٍ أرادَ صاحبُ المتجرِ أن



يتأكد بنفسهِ من صحةِ الأخبارِ التي يرويها الناسُ ، فتظاهرَ بإغلاقِ المتجر ، ثم عادخلسةً فاختبأ في زاويةٍ مظلمةٍ بحيث لا يتمكنُ أحدٌ من رؤيته . وطالَ انتظارُه فكلُ شيءٍ هادئٌ : لا صوت ولا حركةَ . والأدواتَ الموسيقيةُ في أمكنتِها التي سبقَ أن وضعَها فيها . وفجأةً وقفت «سوسو» على عتبةِ

بيتها . فقد حانَ وقتُ نُزهتها الليلية ، وأخذتْ تلاعبُ أوتارَ الآلةِ الموسيقيةِ التي اتخذتها لها سكناً . وتعالى صوتُ الموسيقى : دن . دن . دن . وأصاخَ التاجرُ بِسمعه ليتأكدَ من مصدرِ الصوت ، وعرفَ أخيراً أن اللحنَ ينبعثُ من الجيتارِ الموضوعِ على أحدِ الرفوف ، ولكنه لم يتمكنْ من رؤيةِ «سوسو» في الظلام ، فخيلَ إليه أن الجيتار سحريٌ وأن أنغامَه تنبعثُ تلقائياً في الليلِ دون ان يعزفَ عليه أحد . في ضاحيةٍ قريبةٍ من ضواحي المدينةِ كان يعيشُ الفتى «فادي» ، وقد سمعَ ما يرويه الناسُ عن الجيتارِ السحري . كان «فادي» مولعاً بالغناءِ محباً للموسيقى ، وكان صوتهُ قوياً صافياً ، ولكنه لم يتقنِ العزفَ على آلةٍ موسيقية ، فكان يحلمُ بالغناءِ بمرافقةِ الجيتار . عندما سمعَ الأخبارَ قال : جيتارٌ سحريٌ ، إنه بالضبطِ ما أحتاجُ إليه . وفي أحدِ الأيامِ قصدَ المدينةَ وسألَ عن الجيتارِ السحري . فدلَّه أحدُ المارةِ على المتجرِ ، ودخل فادي المتجر واشترى

الجيتارَ ؛ بالسعرِ الذي حددَه التاجرُ .
وعادَ « فادي » إلى بيتهِ في الضاحية ، يحملُ الجيتارَ السحري وبداخلهِ « سوسو » كانَ سعيداً بتحقيقِ حلمهِ .
وما أن وصلَ إلى البيتِ حتى وضعَ الجيتارَ برفقٍ على الطاولةِ وذهبَ إلى المطبخِ ليتناولَ طعامَ الغذاء .أحستْ « سوسو » أنها تنتقلُ من مكانٍ لأخر ، في الطريقِ كانت تستمعُ إلى « فادي » وهو يدندنُ باغنياتٍ جميلةٍ بصوتهِ القوي .
ودفعها حبُ الاستطلاعِ إلى الخروجِ من مقرها فوقفتْ على العتبةِ تديرُ الطرفَ في المنزلِ وتتعرفُ عليه .
أعجبها المنزلُ وتعبيراً عن فرحتها ، أخذتْ تعزف على الجيتار الحاناً حلوةً ناعمةً وتغني بصوتٍ عذبٍ ركضَ « فادي » مسرعاً ليستمعَ إلى جيتارِه السحرِي ، وكانتِ المفاجأةُ أكبرَ مما يتصورُ ، لم يكن الجيتارُ سحرياً كما ادعى الناسُ ولكن الفأرةَ هي السحريةُ . وأصبحَ « فادي » و « سوسو » صديقينِ لا يفترقان . ووضعا برنامجاً لحفلاتٍ موسيقية يقيمانِها



في الأرياف وفي المدنِ وتوزعا العملَ فيما بينهما : « فادي » يغني الأغاني الشعبيةَ التي يطرَبُ الناسُ لها و « سوسو » ترافقُه في العزفِ على الجيتار . وفي كلِّ مكانٍ ذهبا إليه كان الناسُ يرحبونَ بهما ويشجعونهما ، ويبدونَ إعجابَهم « بفادي » المطربِ وبصديقتهِ « سوسو » الفأرة الموسيقيةِ .